نموذجان من لعبة اليمين واليسار

« ان الانتماء اليساري يبدأ من الايمان بالعلم وينتهي الى الدعوة للاصلاح الاجتماعي... ويخلط المنتمي الى اليمين بين العروبة والاسلام » !!

غالي شكري (القبطي)
مجلة (العلوم) العدد السادس — السنة التاسعة .

رأينا في الحلقات السابقة من هذا البحث سخف فكرة اليمين واليسار، وتفاهة القائمين عليها من حيث أنهم أدوات بايدي (الكبار) يحركونهم كما يشاءون، فيقتلون، عن طريق اثارة ضجيج الصراع بين اليمين واليسار، المعالم الأساسية للصراع الأكبر بين الحق والباطل، أو بين الاسلام والجاهلية. كما رأينا أن هؤلاء المتصارعين (الصغار) ليسوا - على أحسن حال - أكثر من مقلدين محليين لما يدور على النطاق العالمي من صراع. والتقليد - بأي شكل من الأشكال - لعبة خطرة يجب أن يتجنبها الباحثون - بجد - عن الخلاص، وأن يعرفها أصحاب العقائد على حقيقتها كيلا يضيعوا في زحام المصطلحات. وعرفنا كذلك أن الصهيونية والاستعمار أفادا كثيراً من هذه (المهزلة) في واقع حياتنا الراهنة، ومن ثم سعوا، ووراؤهم حشد من العملاء والمقلدين وأنصاف المثقفين، إلى تعميق مهزلة الصراع اليميني اليساري هذه، والدخول بها - قسراً - إلى ساحة التاريخ الاسلامي.

وفي هذه الحلقة - الأخيرة - نريد أن نستعرض نموذجين لمعطيات هؤلاء الذين بهم تمت اللعبة، وفوجيء اللاعبون العرب بجيوش صهيون تغذ خطاها صوب السويس والأردن وهضبة الجولان. وهذه المعطيات يعود بعضها إلى سنين طويلة مضت، ويعود بعضها الآخر إلى ما بعد نكسة الخامس من حزيران. وأصحابها لا ينفردون بوجهة نظرهم هذه، بل إن هناك أعداداً كبيرة ينسجون على هذا المنوال بيوتاً وأفكاراً كنسيج العنكبوت

« وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » . وسنرى مـــا يؤيد القول بان القضية ليست سوى انعكاس لأهداف الدول الكبرى والقوى العالمية في المنطقة، وبخاصة الاستعمار والصهيونية، أو أنها ـ على أحسن حال ـ ضجيج متعمد لتضييع معالم الصراع الأصيل بين الاسلام والجـاهلية ، ولتمرير المؤامرات الكبرى في عالمنا الاسلامي .

النموذج الأول ننقله عن مقـــالة للكاتب اليساري المصري (غالي شكري) نشرتها مجلة (العلوم) اللبنانية في عددها السادس من السنة التاسعة .. وقد جاء فيها « اليمين غالباً هو ذلك الموقف المتدين المستقر على جدران السقف (! !) واليسار دائماً هو ذلك الموقف العلمي من الدين والمجتمع (! !) أي أن الدين عنـــد اليميني واليساري على السواء هو نقطـة البداية (! !) في قضية الانتماء . وهو وضع يخص الحضارة العربية بالذات لأن المسيحية في الغرب ـ هي من ناحية ـ بضاعة مستوردة من الشرق ، ومن ناحية أخرى لا تثبت طويلاً أمام تحديات العلم الأوربي!، وانعدام الايمان بها ـ ثالثاً ـ لا يهدد أنظمة الحكم القائمة حديثاً، ولا يضع المواطن الغربي في صف اليسار . أما نحن فالأمر مختلف إلى حـد كبير . ان التدين من العنـاصر الأصيلة في تكويننا الحضاري ، والتدين أحد الأسلحة الخطيرة في أيدي اليمين، لهذا كان المنتمي إلى اليسار في موقف رد الفعـــل من الدين والمتدين معاً وبصفة دائمة ، إنه يجد نفسه وجهاً لوجه أمام نقطة شائكة وهي أن

أدوات التغيير ليست صناعة محلية (!!) إنه في مأزق لم يعرفه الثوري في الغرب ، وهو مأزق نفسي مرير . فبينما يتسلح الأوربي بالماركسية – وهي صناعة أوربية – في وجه الدين المسيحي – وهو بضاعة مستوردة – يفاجأ الثوري في الشرق بأنه يقف في الطرف المقابل يستورد العلم ونظريات التغيير من أوربا، ليواجه حضارة متدينة من آلاف السنين (!!) لهذا يكون موقف المنتمي إلى اليسار في بلادنا هو رد فعل لجوهر هذه الحضارة، وردود الفعل تتسم بالتضخم والانفعال والمبالغة . ومن ثم يصبح الموقف من الدين هو نقطة البدء عند اليساري العربي . وليس كذلك موقف المنتمي اليميني من الدين ، لأنه يرى فيه – منذ البداية – مسنداً مريحاً للكسل العقلي ، وعاملاً خطيراً في توطيد مصالحه الاجتماعية (! !) فأغلبية الجماهير الشعبية متدينة وجاهلة وبالتالي يمكن الاعتماد عليها من هذه الزاوية ، خاصة إذا كانت هي الهدف في الاستغلال الاجتماعي – ص ٦٦ من المجلة المذكورة – » ويمضي غالي شكري – وهو مسيحي بطبيعة الحال والدين الذي يعنيه هو الاسلام بطبيعة الحال – يمضي قائلاً « ذلك أن الدين كان وما يزال مؤسسة قوية من مؤسسات اليمين – ص ٦٧ – » « هناك أزمة حقيقية اذن في حياة المنتمي إلى اليمين هي افتقاره الى بناء عقائدي متكامل من شأنه أن يعطي حلولا لتغيير الواقع من حوله (!!) وهي أزمة مرحلية تجاوزها اليميني بعدئذ حين ارتمى في أحضان الفاشية العلنية سواء في جناحها المتدين (الاخوان

المسلمون) أو في جناحها القومي (مصر الفتاة) . وهناك أزمة حقيقية في حياة المنتمي إلى اليسار هي أنه ينحرف من الفلسفة البورجوازية (!!) ما يعينه على الوقوف أمام حضارة كاملة في حاجة إلى التغيير من الداخل،من حيث الجوهر – ص ٦٨–٦٩ » ويصل غالي شكري إلى القول بأن « مما يزيد موقف اليساري العربي تعقيداً أنه يرتبط باليسار السياسي عن طريق الفكر فهو يرى في النظريات المادية العلمية (!!) حلولاً لأزمته الشخصية ، وأزمته الشخصية الأولى هي الصراع بين الدين والواقع » ثم ما يلبث الكاتب أن يذكر ، في معرض تحليله أن « هنالك مناقشات حامية لا تنتهي بين اليساري المؤمن بالعلم واليميني المؤمن بالله . وتحجب الرؤية الاجتماعية القاصرة ... ماتؤكده حركة المجتمع من انتصارات إلى جانب العلم والاشتراكية ، بغض النظر عما يمكن أن تؤدي إليه هذه الانتصارات من كشف لأوراق الدين والميتافيزيكا(!!) . فاليساري – بعد مرحلة رد الفعل – ينظر إلى الدين نظرة جديدة .انه يراه معوقا للحركة الثورية بلا شك، ولكنه يحاول ألا يجعل منه قضية أساسية في زمن معين وبين الجماهير الشعبية بالذات (!!) . فالأهم هو القضاء على الاستغلال الاجتماعي الذي يؤدي بدوره إلى القضاء على الاستغلال العقلي(!!) – ص ٧١ – » . فاذا ما عدنا للتنقيب في المقالة المذكورة ثانية فان عبارة أخرى لا بد وأن تلفت انتباهنا ، تلك هي « أن الانتماء اليساري يبدأ من الايمان بالعلم وينتهي إلى الدعوة للاصلاح

الاجتماعي ... ويخلط المنتمي إلى اليمين بين العروبة والاسلام ... ـ ص ٦٨ ـ » ، وذلك هو بيت القصيد ، ولن نزيد !!

أما النموذج الثاني ـ الذي أردناه دليلاً على لعبة إقحام اليمين واليسار في تاريخنا الاسلامي ـ فهو منقول عن نشرة داخلية ـ صدرت في سوريا ، بعنوان (من يحرك التاريخ ؟) وتم توزيعها على العناصر الحزبية في المعسكر التثقيفي لاتحاد طلبة سوريا المنعقد في (كسب) من ١٠ إلى ٣١ تموز ١٩٦٨ [١] . جاء في المقطع الأول من تلك النشرة (ص ٥) « نضال الجماهير العربية ودورها في تثبيت أسس الاسلام كحركة اجتماعية واقتصادية : ان الاسلام هو أعظم ثورة حتى ذلك التاريخ (!!) ثورة تقدمية قادها ذلك الرجل العظيم الفذ والقائد المحنك المجرب الواسع الادراك الذي استطاع أن يشخص ذات أمته ، والذي نفذ إلى قلب المجتمع العربي وعرف كل ما فيه من أمراض ووصف له بعض العلاج (!!) . ولا غرابه في ذلك فمحمد ابن مجتمعه ، ابن الطبقات الكادحة المظلومة التي كانت تعاني في كل لحظة ظلم أثرياء قريش ، وظلم العادات والتقاليد الزائفة التي شاخت وعفى عليها الزمن . وكان لا بد من ثورة لتقلب أسس المجتمع العربي لصالح الفقراء . فكان فقيراً منهم قاد هذه الثورة إلى النصر . وقد وصفه الله بالقرآن (وجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ، ورجدك عائلاً فأغنى) ولذا (فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر)

(١) أنظر مجلة الشهاب ، السنة الثانية العدد ١٨ يشرين أول ١٩٦٨ .

فقد أدرك محمد علل المجتمع وتناقضاته ، وفتش عن الداء وحاول وصف الدواء ليقلب أسس المجتمع وتطوره . وجد محمد أن أولى آفات المجتمع هو الاثراء الفاحش والاستغلال والعبودية والربا وظلم المرأة . وحاول وصف علاج لكل آفة حسب مفاهيم المرحلة التي كان يمر فيها المجتمع في ذلك الحين (!!) . فبالنسبة لارستقراطية قريش أول ما بدأ بها (الذين يكنزون الذهب والفضة) (وتأكلون التراث أكلا لما، وتحبون المال حبا جما) . فهم والحالة هذه أثرياء يحبون المال ويعيشون له ليكتنزوه ويكدسونه على حساب الفقراء والمساكين ، فهم يختلفون والحالة هذه عن أولئك الذين (يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وفقيرا)[1] . وجمع محمد حوله كل فقراء مكة ، ولم ينخرط في الدين الجديد بادىء الأمر من الأثرياء إلا عثمان بن عفان ، وبقي الفقراء هم حملة الاسلام وعموده الفقري حتى أواسط الفترة المدنية ، مما جعل أثرياء مكة ذوو العقلية اليمينية يعيّرون محمداً بفقر أتباعه ويزدرونه ومذهبه وأتباعه (وما نراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا)، كون الفقير عندهم هو الأرذل والمحتقر (قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأرذلون) ؟ . إن مجتمعهم يعطي المرء قيمة من خلال ملكيته وثروته ... قاد محمد هؤلاء الفقراء ، وحاول أول ما حاول انصافهم اقتصاديا ففرض (!!) الزكاة على الأغنياء لانقاذ الفقراء (انما الزكاة للفقراء والمحتاجين) علّه بهذا يحسن

---

(١) هذه الآية وما يليها ننقلها كما وردت في النشرة التثقيفية ؟!

أحوالهم فهـــا هو يجمع الضرائب من الأغنياء ليسد بهـــا حاجة الفقراء ، فهو أمين لطبقته محب لها مخلص في خدمتها . لذا فكل التقاليد الطبقية والاجتماعية القائمة يجب هدمها واحلال شعارات العدالة والمحبة والسلام محلها (انا خلقناكم من ذكر وأنثى لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) . ولم يكتف محمـــد بمساعدة الفقراء من الزكاة انما منـــع الربا ، ذلك السم الزعاف الذي يستنزف جهدهم وتعبهم (يمحق الله الربى ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) بهذا أراد محمد القضاء على الآفـــة الاجتماعية الثانية التي هي الربا ... » .

وليس لعاقل ان يناقش افكارا كهذه ، سواء طرحها فرد أم طرحها حزب ، لما فيها من تهافت واضطراب واقتسار لحقائق الصراع ، وطبيعة الحركات في الشرق العربي . وما كان الهدف من هذا الاستعراض السريع لبعض النماذج هو النقاش ، وانـــما العرض المجرد لبعض الأقلام اليسارية وهي تخط محللة الصراع بين اليسار واليمين ، وفق ما تملي عليها اليد التي تمسك بهـــا . ونترك الأقلام اليسارية هذه ، ومئات غيرها ، تسيطر اليوم على مئات من الصحف والمجلات والنشرات وأجهزة الأعلام ، نترك أصحابها جميعاً يقولون مـــا يشاؤ ـن ، ويملأون بالضجيـج آذان العرب ، وبالهواء أفئدتهم فليس لمسلم جاد أن يضيّع وقته في مناقشة هذه التفاهات .

لكن ... ثمة اسئلة كثيرة يمكن أن توجه إلى كل من أسهم ويسهم ، في لعبة اليسار واليمين هذه . . اسئلة تحدّ لن تجد جوابها - أبداً - من أفواه أصحابها ، لأن القناع الذي لبسوه يوم بايعوا على اللعبة لا يمكن أن يسقطوه باختيارهم ، ويظهروا أمام أمتهم على حقيقتهم ... الا أن (التاريخ) له حكم آخر.. إنه يُسقط الأقنعة ويعرّي المهرجين ، ويلوي سواعد الذين يريدون أن يمنعوه عن أداء مهمته . . إنه بمنطقه القوي الذي لا يحابي ، يعرض على الشعوب والأمم ، يوماً بعد يوم ، صوراً متكررة (ليهوذا) الذي خان يومها سيده المسيح-عليه السلام-، وهو مستعدّ - دائماً - للخيانة ، بمجرد أن يلوح لعينيه بريق الذهب ، وإغراء المناصب والدنانير !!